# الإسلام دين الخدمة الاجتماعية
## والتضامن الإنسانى

تستمد الخدمة الاجتماعية أصولها من الروح الانسانية التى تتطوع لخدمة الضعفاء والمحتاجين الى العناية على اختلاف ضروبها : مادية ومعنوية وطبية ... ... ... الخ .

والدين من أشد المؤثرات فى هذا الروح الانسانية العطوف ، وقد كان التأثير الدينى عاملا من العوامل القوية فى التهذيب الوجدانى والتعاطف الانسانى ، فى جميع العصور وجميع البيئات .

واذا نظرنا الى الاسلام من هذه الناحية وجدناه دين الخدمة الاجتماعية ودين التضامن الانسانى ، سواء فى ذلك نصوصه وأحكامه أو تصرفات نبيه وخلفائه .

ويصعب علينا أن نأتى هنا بجميع تلك النصوص وجميع هذه التصرفات ، فنكتفى بأن نضرب لها أمثلة تبين كم كان لهذا الدين من فضل فى البر الاجتماعى ، وكم يصلح أساسا لمشروعات الخدمة العامة فى جميع العصور . ثم لينظر المسلمون الآن كم هم بعيدون عن روح دينهم حين يهملون الجانب الانسانى والاجتماعى فيه .

* * *

علم الاسلام أن أساس الخدمة الاجتماعية والبر الانسانى هو الروح الذى يدفع الانسان الى البر لا المظاهر التى يتراءى بها وقد يكون له فيها مآرب أخرى ، فجاء فى القرآن الكريم :

( لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ) .

فالبر إيمان فى أول الأمر واطمئنان الى عقيدة ، ثم التصدق بالمال على حبه ، ثم إخراج هذا المال فريضة محتومة فى الزكاة ، بناء على هذه العقيدة وهذا الايمان الذى يغلب على حب المال ، ويدفع صاحبه الى الصدقة والى الزكاة .

والبر روح عطوف وشعور لطيف ورحمة وحنان قبل أن يكون مالا يقصد بإعطائه الرياء أو يتبعه المن على الفقراء : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى) ... (لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ) .

والرحمة أساس الايمان ، أما القسوة ومجانبة البر فهى مصاحبة للكفر : (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ. فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ).

والأمثلة فى القرآن كثيرة على أن البر شعور نفسى قبل أن يكون مظهرا ماديا وأن هذا الشعور وليد الإيمان وقرينه فى نفوس المؤمنين .

ولكن الاسلام دين عملى فهو لا يكتفى بأن يقرر هذا المبدأ ويتركه من غير تشريع ، فكثير من الناس لا يبلغ شعورهم من الرقى درجة يصنعون معها الخير بلا حافز ولا قانون ، وأوساط الناس من هذه الطائفة ، فليكن القانون دقيقا معهم وحازما ، أما الذين تندفع نفوسهم إلى الخير بوازع من الضمير : فسيؤدون هذا الخير قبل أن يطالبهم به القانون .

ولما كان المال عصب الحياة ووسيلة العمل ، فقد شرع الاسلام الزكاة ، وجعلها فرضا على القادرين ، ليوفر للبر موردا ثابتا ، وليجعل الدولة بهذا المورد مسئولة عن المحتاجين للاجتماعى وقادرة على حمل هذه المسئولية والنهوض بها : (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ) (إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ) فهذه موارد الزكاة ومصارفها مبينة فى نصوص القانون ، وعلى الدولة أن تجبى الزكاة وعليها أن تصرفها فى وجوهها . وذلك هو البر الاجتماعى القانونى فى أرقى صوره فى العصر الحديث .

ثم لا يكتفى الإسلام بالزكاة المفروضة ، فهناك صدقات يحث عليها ويزينها ويثنى على من يجودون بها : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) .

وفى موضع آخر يتحدث عن الأبرار عباد الله فيقول : ( وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ) .

وفى هاتين الآيتين وسواهما تفصيل لوجوه البر عن طريق الصدقات . للمهاجرين والمساكين واليتامى والأسرى ... وسواهم ممن يحتاجون للرعاية والبر بالعطف و بالطعام و بالمال و بالإيواء ، مما نسمع به الآن فى بعض الأمم التى دهتها كوارث الحرب فقف أمامه مبهوتين معجبين ؛ وهو وأمثاله عندنا من صميم الدين .

ثم يتهز الإسلام كل فرصة ليدفع المؤمنين إلى البر والجود والتبرع ، فكثير من الخطايا والأخطاء يجعل التكفير عنها بالبر ،وكثير من التقصير فى العبادات يجعل التعويض منه بالبر

فمن حلف يمينا لم يوف بها وحنث فيها ( فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) وكلاهما بر اجتماعى وإنسانى .

( وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ )

ومن أفطر فى رمضان عامدا من غير مبرر شرعى فمن بين الكفارات التى تطهره :(تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكينا ) .

ومن ضعف عن الصيام للشيخوخة أو لمرض لا يرجى شفاؤه فعليه أن يطعم مسكينا من المساكين كفارة عن كل يوم من أيام رمضان ... وهكذا .

وإذا تجاوزنا النصوص الواردة فى القرآن الكريم والواردة فى الأحاديث النبوية وهى كثيرة لم نذكرها هنا ... إذا تجاوزنا النصوص إلى التصرفات العملية لنبى المسلمين وخلفائه و بعض ملوك الإسلام فى شتى عصوره نجدها فى الحياة العملية مصداقا للنصوص المكتوبة .

فمحمد عليه الصلاة والسلام يتصدق حتى لا يبقى لنفسه شيئا ، وكان يواسى الضعفاء بنفسه و يقول "أبغونى الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" وشملت رحمته الإنسان والحيوان فقال من حديث : "فى كل ذات كبد رطبة أجر" .

وعمر بن الخطاب هو صاحب القصة المعروفة مع العصبية الجياع وهى المثل الكامل للخدمة الاجتماعية يؤديها الحاكم لرعاياه ، والقوى للضعيف ، والانسان للانسان. ولكن أدل منها على روح البر قصة عمر مع اليهودى : "ذلك أنه رأى شيخا ضريرا يسأل على باب . فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن ! فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فأعطاه مايكفيه ساعتها ، وارسل إلى خازن بيت المال يقول : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ماأنصفناه إنا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه".

فهذا مثل للبر الإنسانى المجرد عن العاطفة الدينية ، ومثل فى الوقت ذاته للبر المنظم الذى توضع له القواعد ليكون عرفا وقانونا شاملا للحالات المماثلة فى كل حين .

" وأعطى الوليد بن عبد الملك المجذومين وقال : لاتسألوا الناس ... وجعل لكل مقعد خادما ، ولكل ضرير قائدا ، وكثرت من بعده المستشفيات والملاجىء والتكايا فى أرجاء البلاد الاسلامية لإيواء المرضى والفقراء والسائحين والمحتاجين ، فما يمر سائح ببلد إلا وجد مأوى وطعاما فى هذه الدور أو فى بيوت الناس" .

فهذا الدين الذى تحوى نصوصه وشرائعه تلك المبادىء والذى يتصرف المؤمنون به هذا التصرف هو دين الخدمة الاجتماعية ، ودين البر الإنسانى ، فاذا تخلف قومه فى عصر من العصور عن الوفاء بنصه وروحه ، فذلك تقصيرهم وحدهم ، وعلى المصلح الاجتماعى أن يذكرهم بدينهم ، ويتخذ منه أساسا للخدمة الاجتماعية بينهم ، وهو أساس صالح مكين .

وذلك واجب رجال الوعظ الدينى الذين لهم بحكم مناصبهم وحكم عملهم اتصال عملى بالناس فقيرهم وغنيهم على السواء وهم بحكم ثقافتهم أجدر الناس بأن يتولوا الإرشاد الدينى على أسس اجتماعية . وأن يجعلوا مواعظهم تنصب على هذا الجانب العملى الواقعى فى حياة الشعب ؛ وإن هذا الارشاد لينتج أفضل النتائج حين يطبق الدين فيه تطبيقا واقعيا على المشاكل الاجتماعية الحاضرة ، لا حين يسلك طريق البحوث الفقهية أو التشريعات المجردة كما نلاحظ فى كثير من الأحاديث الدينية فى الإذاعة والخطب المنبرية فى المساجد .